الفصل العاشر

الفصل العاشر

فى العقلانية المؤمنة

فى الحضارة اليونانية القديمة.. وكذلك فى صورتها الحديثة: الحضارة الغربية المعاصرة. انحاز الفلاسفة إلى "العقل" و"براهينه"، أداة وحيدة لإدراك فى الظواهر والأشياء.. ففى المجتمع اليوناني، كانت السيادة الوثنية.. ولم يكن هناك "وحي" إلهى، ولا "نقل" دينى ينافس "العقل" أو "يزامله" فى ميدان التفلسف والتأمل والتفكير..

وبسبب من أن النهضة الحضارية الغربية – رغم تبلورها فى مناخ مسيحى – كانت علمانية الروح والجوهر والطابع.. وبسبب من رفض اللاهوت المسيحى – كما تبلور فى الكنيسة الكاثوليكية الغربية – فرضه اعتماد – "العقل" سبيلاً إلى "الإيمان".. فلق جاءت هذه النهضة الحضارية الغربية الحديثة امتدادا للموقف اليونانى القديم، وفى الاعتماد على "العقل" وحده أداة للتفلسف والتأمل والتفكير..

تلك قسمة تميزت بها الفلسفة والإبداع الفلسفى فى الحضارة الغربية، منذ اليونان وحتى عصرها الحدي.. فالعقل، وحده، هو أداة الفلسفة والتفلسف.. و"الوجدان.. والنقل"، وحدهما، السبيل إلى التدين والإيمان!..

وإذا كان هذا الموقف قد عرف طريقه إلى شريحة من شرائح تيار الفلسفة والتفلسف فى تراثنا العربى الإسلامى.. فإن القطاع الأعظم من تيار الفلسفة الإسلامية قد اتخذ من هذه القضية موقفًا متميزا ومغايرا.. فالتيار العقلانى فى حضارتنا العربية الإسلامية – وفرسانه: "المعتزلة"، بخاصة، و "أهل العدل والتوحيد"، بعامة قد انطلقوا، على درب التفلسف والإبداع الفلسفي، من "النقل" أى القرآن الكريم، الذى أعلى مقام العقل، واستفادوا من اقتصاد الإسلام فى الحديث عن "الغيبيات"، فصاغوا – من قبل ترجمة الفلسفة اليونانية إلى العربية – وربما للمرة الأولى فى تاريخ الفكر الفلسفى – صاغوا "علم الكلام الإسلامى" – "علم التوحيد" – فلسفة إسلامية مؤسسة على الوحى الإلهى، فيها تزامل "العقل" و"النقل"، وتآخت "الحكمة" و"الشريعة"، وجاورت "العقليات" "السمعيات" وشد "التوحيد" فى الألوهية من أزر "الطبائع والسببية".. واستطاعوا بهذه العقلانية الإسلامية المتميزة النهوض بمهمة مجادلة الفلاسفة اللاهوتيين من أبناء الملل الأخرى، فوظفوا الفلسفة – للمرة الأولى فى التاريخ – سلاحا بيد الدين، وكان لهم، فى هذا الميدان، فضل نشر الإسلام فى البلاد التى ازدهرت فيها الأبنية الفكرية التى استرشدت بميراث اليونان الفلسفى والمنطقى فى المناظرة والجدال..

صنع هذا التيار العقلانى قسمة العقلانية الإسلامية فى حضارتنا تلك التى أدهشت مفكرى الغرب من تميزها بالتدين،فكتب الفريد جيوم Alfred Guillaume يقول: "إن قوة الحركة الاعتزالية مردها.. إقامة علم الكلام الإسلامى على أسس ثابت من الفلسفة، مصريين فى الوقت نفسه على أن تكون تلك الأسس منطقية.. مع وجوب أن تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية.." (١).

وعلى عكس المسيحية وحضارتها الغربية، التى وقفت فلسفتها عند "العقل" – فى معاداة "للنقل" – ودعا دينها إلى أن يؤمن بما يلقى إلى قلبه دون نظر عقلى – على حد قول القديس أنسلم Aselme (١٠٣٣ م – ١١٠٩م) – جعل المعتزلة "النظر" أول واجبات الإنسان(٢).. لأن النظر العقلى هو سبيل معرفة الله والإيمان به، وعليهما يترتب الإيمان بالرسالة والرسل والوحى والكتاب.. ومن هنا جاء اعتمادهم على "العقل" مع "الكتاب " والسنة و"الإجماع".. بل وتقديمه عليها، لا تقديم تفضيل، وإنما تقديم ترتيب.. فقالوا:.. إن "الأدلة: أولها: دلالة العقل، لأن به يميز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة، والإجماع، وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن، أن الأدلة هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، فقط، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر، وليس كذلك. لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع. وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن أن الأدلة هى: الكتاب، والسنة، والإجماع، فقط، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر، وليس كذلك لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع، فهو الأصل فى هذا الباب. وإن كنا نقول: إن الكتاب هو الأصل من حيث أن فيه التنبيه على ما فى العقول، كما أن فيه الأدلة على الأحكام.. ومتى عرفنا، بالعقل، إلها منفردا بالإلهية، وعرفناه حكيما، نعلم فى كتابه أنه دلالة، ومتى عرفناه مرسلا للرسول، ومميزا له بالأعلام المعجزة، من الكاذبين، علمنا أن قول الرسول حجة وإذا قال صلى الله عليه وسلم: "لا تجتمع أمتى على خطأ (٣).. وعليكم بالجماعة" (٤)، علمنا أن الإجماع حجة.." (٥)..

---

(1) جيوم (الفلسفة وعلم الكلام) ص ٣٧٩ – ضمن كتاب "تراث الإسلام ، طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

(2) د. على فهمى خشيم (الجبائيان: أبو على وأبو هاشم) ص ٣٣٣ طبعة طرابلس – ليبيا– سنة ١٩٦٨م.

(3) لفظ الحديث فى ابن ماجة: "إن أمتى لا تجتمع على ضلالة".

(4) رواه – بألفاظ متفاوتة، مع اتحاد المعنى – : البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة.

(5) قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) ص ١٢٧. طبعة تونس سنة ١٩٧٢م.

فاعتماد العقل هنا.. وتقديمه ليس غضا من شأن "النقل"، بل مؤازرة ومؤاخاة وتأييد.. فهم لم يقولوا بانفراد العقل بالمعرفة، وإنما اعتمدوه دليلاً لمعرفة الأصول الشرعية فعند.هم – كما يقول الماوردى ٣٦٤هـ. – ٤٥٠هـ./٩٤٥م – ١٠٥٥م): أن "السبب المؤدى إلى معرف.ة الأصول الشرعية والعمل بها شيئان: أحدهما علم الحس، وهو العقل، لأن حجج العقل أصـ.ل لمعرفة الأصول، إذ ليس تعرف الأصول إلا بحجج العقول.. فالعقل: أم الأصول.. وثانيهم.ا: معرفة لسان العرب – وهو معتبر فى حجيج السمع خاصة.." (١).

فالعلاقة عضوية، والعروة وثقى – فى هذه العقلانيـ.ة الإسـ.لامية – بـ.ين "العقـ.ل" و"الشرع" باعتبارهما دليلان خلقهما خالق واحد، وجعلهما السبيل لهداية الإنسان، وإذا قلنا "إن لكل فضيلة أسَا، ولكل أدب ينبوعا الآداب هو العقل، الذى جعله الله تعالى للدين أصلاً، وللدنيا عمادا، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألف به بين خلفه، مع اخـ.تلاف هممهم ومآربهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم، وجعل ما تعبدهم به قـ.سمين: قـ.سما وجـ.ب بالعقل، فوكده الشرع، وقسما جاز فى العقل، فأوجبه الشرع، فكان العقل لهما عمادا..." (٢)

وعلى عكس العقلانية الغربية الملحدة، التى جعلت من إعطاء المادة والطبيعة حظهـ.ا من السببية والفعل أمرا ينفى وجود الألوهية، كالسبب الأول والأعظم فى هذا الكون.. علـ.ى العكس منها جمعت العقلانية الإسلامية بين الأمرين.. فللطبيعة فعـ.ل، ومادتهـ.ا وظواهرهـ.ا وعواملها أسباب لمسببات.. ومع ذلك فإنها – مع فعلها – مخلوقة للسبب الأعظم والأول فـ.ى هذا الكون.. وتلك واحدة من إنجازات علم الكلام الإسلامى، الذى أبدعه التيار العقلانـ.ى فـ.ى حضارتنا.. ولنتأمل عبارة الجاحظ (١٦٣هـ. – ٢٥٥هـ./ ٧٨٠ – ٨٦٩م) التى يقـ.ول فيهـ.ا "وليس يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام، متمكناً من الصناعة، يصلح للرياسة، حتى يكـ.ون الذى يحسن من كلام الدين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة!. والعالم وعندنا هو الـ.ذى يجمعهما. والمصيب هو الذى يجمع تحقيق "التوحيد" وإعطاء "الطبائع" حقها من الأعمـ.ال!.. ومن زعم أن "التوحيد" لا يصلح إلا بإبطال حقائق "الطبائع". وفقد حمل عجزه على الكلام فى "التوحيد"، وكذلك إذا زعم أن "الطبائع" لا تصلح إذا قرنها "بالتوحيـ.د" علـ.ى بخـ.س حقـ.وق" الطبائع" لأن فى رفع "أعمالها" رفع "أعيانها"، وإذا كانت "الأعيان" هى الدالة على الله، فرفعت "الدليل"، فقد أبطلت "المدلول عليه"!. ولعمرى! إن فى الجمع بنيهما لبعض الـ.شدة؟!.. وأذ.ا

---

(1) أدب القاضى جـ. ١ ص ٢٧٤، ٢٧٥ طبعة بغداد سنة ١٩٧١م.

(2) الماوردى (أدب الدنيا والدين) ص ١٩. طبعة القاهرة ١٩٧٣م.

أعوذ بالله تعالى أن أكون كلما غمز قناتى باب من الكلام صعب المدخل، نقضت ركنا من أركان مقاتلى!. ومن كان كذلك لم ينتفع به؟!.." [1].

هكذا وعلى هذا النحو وفى مواجهة كل "الثنائيات".. صاغ التيار العقلانى القسمة العقلانية لحضارتنا العربية الإسلامية، فوازنوا – "بالوسطية" – وجمعوا وألفوا بين ما يمكن جمعه وتأليفه من المتقابلات والأقطاب، التى عدت فى الحضارات الأخرى نقائض لا يمكن تعايشها، فضلاً عن الجمع والتأليف بينها.. ثم هم قد كانوا فلاسفة ودعاة إلى الدين. وعلماء ورجال دولة، وفرسان العلوم النظرية والعلمية معا، يبحثون فى الإلهيات ويجرون التجار على النباتات والحيوانات. فلقد كان فيهم من "أشراف أهل الحكمة" مشتغلون بعم الحيوان، يجرون فيه التجارب والملاحظات والاستقراءات، ويقولون فى شرفه وقدره: "إن هذا العلم يتفرغ للجدال فيه الشيوخ الجلة والكهول العلية، وحتى ليختاروا النظر فيه على التسبيح والتهليل، وقراءة القرآن، وطول الانتصاب فى الصلاة، وحتى ليزعم أهله أنه فوق الحج والجهاد، وفوق كل بر واجتهاد..؟!" [2]– على حد قول الجاحظ فى (كتاب الحيوان)..

لقد كانوا علماء.. وصناع حضارة.. طبعوا الحضارة التى أبدعوها بهذا الطابع العقلانى المتميزة والفريد..فماذا صنع بهم، وبهذه العقلانية الإسلامية ذلك الانقلاب الذى أحدثته عسكرة الدولة عندما هيمن عليها العسكر الترك المماليك؟!..

****

كان الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤هـ – ٢٤١هـ/ ٧٨٠ – ٨٥٥م) يمثل فى بغداد العباسية النقيض الصريح لفكرية التيار العقلانى الإسلامى... فعداؤه المفهوم للفلسفة اليونانية قاده إلى معاداة علم الكلام الإسلامى وتجريح المتكلمين.. ونفوره من العقلانية وقف به عند نصوص وحدها.. بل وعند ظواهر النصوص.. ولم يكن الإمام أحمد – بداهية– فيلسوفًا ولا متكلما.. بل ولم يكن فى الحقيقة فقيها، وإنما كان محدثًا، جمع واحدا من أكبر مسانيد الحديث النبوى الشريف.. وصاغ أصول "المنهج النصوصى"، المعتمد على الأخبار وحدها، والرافض لما عدا النصوص من أدوات التفكير البحث والبرهان..

فأركان منهجه الخمسة– كما يحددها الإمام السلفى ابن القيم (٦٩١هـ – ٧٥١هـ/ ١٢٩٢م – ١٣٥٠م) – تجعل محوره الأوحد – تقريبا –هو النصوص.. "فالأصل الأول: النصوص والأصل الثانى: ما أفتى به الصحابة" – وهى نصوص.. "والأصل الثالث: إذا

---

(1) (كتاب الحيوان) ج٢ ص ١٣٤، ١٣٥ تحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون. طبعة القاهرة – الثانية –.
(2) (كتاب الحيوان) ج١ ص ٢١٦، ٢١٧.

اختلف الصحابة تخير من أقوالهم.." – نصا من الن.صوص –.."والأص.ل الراب.ع: الأخ.ذ بالمرسل والحديث الضعيف.. " – وهى نصوص يقدمها – مع ضعفها – على غيرها من سبل الاستدلال –.. "والأصل الخامس: القياس للضرورة، إذا لم يكن عنده فى الم.سألة ن.ص، ولا قول الصحابة، أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو ضعيف.."! (١).

لقد كان معاديا" للرأى" وأصحابه، ينهى عن س.ؤال أص.حاب الـ.رأى، ويق.ول: إن "ضعيف الحديث أقوى من الرأى"!..

بل لقد صاغ الإمام أحمد بنفسه منهجه النصوصى هذا.. صاغه شعرا فقال:

ديـ..ن النبـ..ى محمـ..د آثـ..ار نعـ..ـم الطيـ..ـة للفتـ..ـى الأخبـ..ـار
لا تخـ..دعن الحـ..ديث وأهلـ..ه فـ..الرأى ليـ..ل والحـ..ديث نهـ..ار؟!
ولربمـ..ا جهـ.ل الفتـ.ى طـ.رق الهدى والـ..شمس طالعـ..ة لهـ..ا أنـ..وار

فالدين عنده "نصوص".. بل و"ظواهر هذه النصوص"..فقط

وهذه النصوص " وحدها – هى "العلم" أيضا.. ووفق الصياغة الشعرية لواحـ.د مـ.ن أعلام هذا التيار.. فإن:

العلم: قـ.ال الله قـ.ال رسـ.وله قـ..ال الـ..صحابة لـ..يس خلـ..ف فيـ..ه
مـ..ا العلـ..م نـ..صبك للخـ..لاف بـ..ين النـ..صوص وبـ..ين رأى سـ..فيه سفاهة
كـ..لا ولا نـ..صب الخلاف..ة بين الرسول وبين رأى فقيه جهالة
كـ..لا ولا رد النـ..صوص حذرا من التجسيم والتشبيه تعمدا
حاشا النـ.صوص مـ.ن الـ.ذى من فرقة التعطيل والتمويه! (٢) رميت به

فالنصوص وحدها هى العلم، ولا عبرة بالرأى، ولا مدخل له فيهـ.ا حتـ.ى لـ.و أدت ظواهرها إلى "التجسيم والتشبيه" فى حق الذات الإلهية؟!..

---

(1) (إعلام الموقعين) ج١ ص ٧٦، ٧٧ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

(2) المصدر السابق. ج ١ ص ٧٩.

وتبعا لهذا " المنهج النصوصى"، رفض الإمام أحمد "الرأى" و "القياس" – إلا عند انعدام النصوص، ولو الضعيفة، وبشروط تجعله معدوما –ورفض "التأويل" و"الذوق" و"العقل" و"السببية".. وكل ما عدا ظواهر النصوص من أدوات الاستدلال [1]

ولقد كان هذا ا المنهج النصوصى يستقطب قطاعا من "العامة" بحكم القصور الفكرى الذى يقف بهم عند المحسوس، وظواهر النصوص.. فلما اقترف نفر من المعتزلة – وليس تيار المعتزلة كما يظن كثيرون – خطيئة استخدام سلطة الدولة فى الضغط على الإمام أحمد كى يقول بقولهم فى "خلق القرآن" وأبى الرجل ذلك، وتحمل فى بسالة المجاهدين ما نزل به الاضطهاد فى عهود الخلفاء الثلاثة الذين كانوا على مذهب الاعتزال:

المأمون.. والمعتصم.. والواثق اكتسب الرجل تجلة وإعظاما لدى قطاعات عريضة من جمهور العامة وكثير من المفكرين والعلماء.. فأضفت محنته على مذهبه الفكرى ما لم يكن يحتذ به ولا يكتسبه بغير هذه المحنة وهذا الاضطهاد؟!.

فلما حدث الانقلاب التركى المملوكى.. وتعسكرت الدولة.. وكان هؤلاء الترك المماليك عسكرا جفاة ضيقى الأفق، ولا دربة لهم ولا قدرة على استيعاب العقلانية الإسلامية.. إذ كانت مداركهم وأحلامهم أدنى من مستوى العامة فى هذا الميدان.. ثم هم كانوا بحاجة إلى تأييد العامة فيما اعتزموا من تغيرات وما دخولا فيه من صراعات مع التيار العقلانى، الذى كانت له السيادة والهيمنة حتى ما قبل عهد المتوكل العباسي.. لكل ذلك، وجدنا هؤلاء الترك المماليك ينتزعون أئمة التيار العقلانى، من مواقع القيادة والتأثير، الفكرية والسياسية، بل ويزجون بالكثيرين منهم فى السجون، أو ينفونهم من الأرض.. ويأتون بمضطهدى الأمس، أقطاب النصوصى، يملئون بهم هذه المراكز للتوجيه والتأثير والتنفيذ.. لقد كان انقلابا فكريا كاملاً.. غدت فيه مقولات التيار العقلانى فكرا محرما ومجرما يلاحقه الاضطهاد.. وغدى فيه أئمة هذه العقلانية موضع التنديد وأسرى للملاحقة والسجن الاضطهاد..

وها هو شاعر هذا الانقلاب – على بن الجهم (٢٤٩هـ. / ٨٦٣م) – المقرب من الخليفة المتوكل يسب المعتزلة، وبعضهم والشيعة مع النصارى فى سلة واحدة.. ويتحدث عن انتصار حزب المتوكل على "الواثقية" – نسبة إلى الخليفة المعتزلى "الواثق".. الذى حدث الانقلاب على فكرية عهده وتوجهاته.. ها هو على بن الجهم يصور لنا هذا الذى حدث فيقول:

---

(1) انظر لابن القيم: (الطرق الحكمية) ص ٤٠٠. و(إعلام الموقعين) ج١ ص ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٦٠، ٦١، ٢٦٩، ٥٣، ٣٣٣ – ٣٣٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٥٠، ج٤ ص ٢٥٠، ج٢ ص ٢٩٨، ٢٩٩. وانظر لابن تيمية : رسالة (العبودية) ص ٥٦٨، ٦٠٥، ٦٠٦، ورسالة (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ص ٧٦٣، ٧٣٧، ورسالة (الوسطية بين الحق والخلق). ص ١٤٨، ١٤٩، طبعة دار الفكر – بيروت ضمن (مجموعة التوحيد).

تـ..ضافرت الـ..روافض والذ..صارى وأهـ..ـل الاعتـ..ـزال علـ..ـى هجـ..ـائى
وعـ..ابونى ومـ..ا ذنبـ..ـى إلـ..يهم سـ..ـوى علمـ..ـى بـ..ـأولاد الزنـ..ـاء؟!
أنـ..ا المتـ..وكلى هـ..وى ورأيـ..ا ومـ..ا "بالواثقيـ..ـة" مـ..ـن خفـ..ـاء..

ثم يوجه سبابه إلى الرجل الدولة المعتزلى احمد بن أبى دؤاد (١٦٠هـ. - ٢٤٠هـ./ ٧٧٧م – ٨٥٤م) – وكان يومئذ معزولاً، مضطهدا، ومريضا، فيشير إلى الطابع الفكرى لهذا الانقلاب الذى اقتلع التيار العقلانى من مواقعه ليزرع فيها النصوصيين.. يقول على بن الجهم، موجها الحديث إلى ابن أبى دؤاد:

لم يبـ.ق منـ.ك سـ.و خيالـ.ك لامعـ.ا فـ..رق الفـ..راش ممهـ..دا بوسـ..اد
فرحـ..ت بمـ..صرعك البريـ..ة كلهـ..ا مـ..ـن كـ..ـل مـ..ـنهم موقنـ..ـا بمعـ..ـاد
كـ..ـم مجلـ..ـس لله قـ..ـد عطلتـ..ـه كـ..ـى لا يحـ..ـدث فيـ..ـه بالإسـ..ـناد
ولكـ..ـم مـ..ـصابيح لنـ..ـا أطفأتهـ..ـا حتـ..ـى تـ..ـزول عـ..ـن الطريـ..ـق الهـ..ـادي
ولكـ..ـم كريمـ..ـة معـ..ـشر أرملتهـ..ـا ومحـ..ـدث أوثقـ..ـت فـ..ـى الأقيـ..ـاد
إن الأسارى فـ.ى الـ.سجون تفرجـ.وا لمـ..ـا أتتـ..ـك مواكـ..ـب العـ..ـواد!

فهو انقلاب واضح وحاد ضد التيار العقلانى.. أخرج "المحدثين"، وأصحاب بـ.ضاعة الإسناد" من السجون، ليحل محلهم فيها القائلون بالعدل والتوحيد.. هذه الفكرية التـ.ى عـ.دت بدعة، على حد قول على بن الجهم فى هجاء ابن أبى دؤاد عندما نفاه المتوكل – وكان من قبل مشير الخليفة – أى أعظم من الوزير – يقول على بن الجهم:

يـ..ا أحمـ..د بـ..ن أبـ..ى دؤاد دعـ..وة بعثـ..ـت إليـ..ـك جنـ..ـادلا وحديـ..ـدا
مـ..ـا هـ..ـذه البـ..ـدع التـ..ـى سـ..ـميتها بالجهـ..ـل منـ..ـك العـ..ـدل والتوحيـ..ـد [1]

ونحن لن نتحدث عن تصاعد الاضطهاد الذى أصاب أئمة التيار العقلانى.. فقط نـ.ود أن نشير إلى اضطهاد فكرهم قد بلغ فى عهد الخليفة القادر بالله (٣٨١هـ. ٤٢٣هـ./ ٩٩١م – ١٠٣١م) إلى الحد الذى اجتمع فيه أئمة التيار النصوصى، بتشجيع من الخليفـ.ة، فأصـ.دروا مرسوما سمى "الاعتقاد القادرى" حرموا فيه فكر التيار العقلانى، وجرموا فيه فكريـ.ة العـ.دل والتوحيد، على نحو يشبه المراسيم الكنسية الغربية عن روح الإسلام والنادرة الحـ.دوث فـ.ى تاريخ المسلمين.. وفى هذا "الاعتقاد" صدرت أوامر الخليفة:

١- بمنع تدريس علم الكلام والمناظرة فى مسائله، خاصة الاعتزال ومقالات أهله. وأنذر المخالفين بالعقوبة والنكال، نفيا وسجنًا وقتلاً!..

---

(1) الأصفهانى (الأغانى) ج١ ص ٣٦٧٠ – ٣٦٧٢، ٣٦٨١، ٣٦٣٩ طبعة دار الشعب. القاهرة

٢- وبلعن المعتزلة على منابر المساجد، حتى يصير ذلك سنة من سنن الإسلام!.

٣- وبتحريم قول المعتزلة فى "التوحيد".. وفى "خلق القرآن"..

٤- كما يحرم قول المعتزلة فى "المعدل".. ويتحدث عن أن الخلق لا قدرة لهم، بـ.ل "كلهم عاجزون"!.

٥- ويحرم قول المعتزلة فى "المنزلة بين المنزلتين".. ويقرر مذهب "المرجئة" فـ.ى هذا الموضوع.

ولقد صدر هذا "المرسوم الفكرى" باعتباره "اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فقـ.د فـ.سق وكفر"؟!.. [1].

نعم... حدث هذا، رغم امتياز الإسلام وحضارته بالتأكيد على أن الاجتهـ.اد فـ.رض كفاية، أى فريضة اجتماعية، أكثر أهمية وآكد فى التكليف من فروض العين، يقع إثم التخلـ.ف عنها على الأمة جمعاء.. ورغم اتفاق أئمة الاجتهاد فى الأمـ.ة علـ.ى مـ.شروعية "التعدديـ.ة" الفكرية، عندما قرروا أن اجتهاد المجتهد غير ملزم للمجتهدين الآخرين!.

وعلى الذين تحيرهم معرفة الأسباب والبدايات والملابسات التـ.ى أصـ.ابت إبـ.داعنا الحضارى فى الصميم بما عرف "إغلاق باب الاجتهاد".. علـ.يهم أن يمـ.سكوا بخيـ.وط هـ.ذا التحول، الذى أحدثه هذا الانقلاب، ففيه تكمن البداية، ومنه بدأ التراجـ.ع والجمـ.ود والتخلـ.ف والانكسار!..

---

(1) آدم متز (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى) ج١ ص ٣٨١ – ٣٨٣ طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م.